الباب التاسع والثلاثون

فى فضل الصوم وحسن أثره

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : (الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر) .

وقيل : ما فى عمل ابن آدم شىء إلاّ ويذهب بردّ المظالم ، إلاّ الصوم ؛ فإنه لا يدخله قصاص .

ويقول الله تعالى يوم القيامة : هذا لى ، فلا ينقص أحدٌ منه شيئًا .

وفى الخبر : (الصوم لى وأنا أجزى به) قيل : أضافه إلى نفسه ؛ لأن فيه خُلقًا من أخلاق الصمدية ، وأيضا ، لأنه من أعمال السرّ من قبيل التروك لا يطلّع عليه أحد إلا الله .

وقيل فى تفسير قوله تعالى : ﴿السَّائِحُونَ﴾ : الصائمون ؛ لأنهم ساحوا إلى الله تعالى بجوعهم وعطشهم .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] هم : الصائمون ؛ لأن الصبر اسم من أسماء الصوم .

ويفرغ للصائم إفراغًا ويجازف له مجازفة .

وقيل : أحد الوجوه فى قوله تعالى : ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2] كان عملهم الصوم .

وقال يحيى بن معاذ : (إذا ابتلى المرء بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ، ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة . وفى نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها فى كفّ الشيطان متعلّق بها ، فإذا جوّع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه يبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفرّ الشيطان من ظله .

وإذا أشبع بطنه وترك حلقه فى لذائذ الشهوات فقد رطّب أعضاءه وأمكن الشيطان .

والشبع نهر فى النفس ترده الشياطين ، والجوع نهر فى الروح ترده الملائكة وينهزم الشيطان من جائع نائم فكيف إذا كان قائمًا ؟ !

---

(١) آية ١٠ من سورة الزمر .

(٢) آية ١٧ من سورة السجدة

ويعانق الشيطان شبعانًا قائمًا ، فكيف إذا كان نائمًا ؟ !

فقلب المريد الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب .

دخل رجل إلى الطيالسىّ ، وهو يأكل خبزًا يابسًا قد بلّه بالماء مع ملح جريش ، فقال له : كيف تشتهى هذا ؟ ! قال : أدعه حتى أشتهيه .

وقيل : من أسرف فى مطعمه ومشربه يعجل الصَّغَار والذل إليه فى دنياه قبل آخرته .

وقال بعضهم : الباب العظيم الذى يُدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء .

وقال بشر : إن الجوع يصفّى الفؤاد ويميت الهوى ويورّث العلم الدقيق .

وقال ذو النون : ما أكلت حتى شبعت ، ولا شربت حتى رويت إلا عصيت الله أو هممت بمعصيته . وروى القاسم بن محمد عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : كان يأتى علينا الشهر ونصف شهر ما تدخل بيتنا نار ، لا لمصباح ، ولا لغيره ، قال : قلت : سبحان الله ، فبأىّ شىء كنتم تعيشون ؟ قالت : بالتمر والماء ، وكان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيرًا كانت لهم (منائح) [1] فربما واسونا بشىء وروى أن حفصة بنت عمر ، رضى الله عنهما ، قالت لأبيها : إن الله قد أوسع الرزق فلو أكلت طعامًا أكثر من طعامك ولبست ثيابًا ألين من ثيابك ! ! فقال : إنّى أخاصمك إلى نفسك : ألم يكن من أمر رسول الله ﷺ كذا .. ؟ يقول مرارًا .. فبكت ، فقال : قد أخبرتك والله لأشاركنه فى عيشه الشديد لعلى أصيب عيشة الرخاء .

وقال بعضهم : ما تخلت لعمر دقيقًا إلاّ وأنا له عاص .

قالت عائشة ، رضى الله تعالى عنها : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من خبز بُر حتى مضى لسبيله .

قالت عائشة ، رضى الله تعالى عنها : أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم .. قالوا : كيف نديم ؟

قالت : بالجوع والعطش والظمأ .

وقيل: ظهر إبليس ليحيى بن زكريا، عليهما السلام، وعليه معاليق، فقال: ما هذه؟ قال : الشهوات التى أصيب بها بنى آدم، قال: هل تجد لى فيها شهوة؟ قال: لا، غير أنك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة والذكر، فقال: لا جرم، إنّى لا أشبع أبدًا.

---

(١) منائح جمع منحة وهى العطية

قال إبليس : لا جرم إنّى لا أنصح أحدًا أبدًا.

وقال شقيق: العبادة حِرْفَةٌ ، وحانوتها الخلوة، وآلاتُها الجوع.

وقال لقمان لابنه : إذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وقال الحسن: لا تجمعوا بين الأدمين؛ فإنه من طعام المنافقين.

وقال بعضهم: أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية.

فيكره للمريد أن يوالى فى الإفطار أكثر من أربعة أيام؛ فإن النفس عند ذلك تركن إلى العادة، وتتسع بالشهوة.

وقيل: الدنيا بطنك؛ فعلى قدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما ملأ آدمى وعاء شرًا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة؛ فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[1].

وقال فتح الموصلى: صحبت ثلاثين شيخًا كلّ يوصينى عند مفارقتى إياه بترك عِشرة الأحداث، وقلّة الأكل.

---

(١) متفق عليه .